التراكيب النحوية – دلالاتها وعلاقتها بصناعة النص الشعري لدى أبي العلاء المعري

الملخص :

تناول هذا البحث بعضاً من تراكيب أبي العلاء المعري التي تنبني عليها جملته الشعرية ، والدلالة المعنوية التي تؤديها هذه التراكيب ، إلى جانب توظيفها في صناعة النص لديه، حيث يظهر من خلال النظر الدقيق إلى البناء الجملي الذي يتألف منه نص أبي العلاء الشعري أنه يوظف التراكيب النحوية لتحقيق غايتين ، الأولى : دقة التعبير في إحكام التركيب لبلوغ أعمق المعاني وأجلها، الثانية : صناعة الروعة الفنية إلى جانب رقة الحس والذوق المتمثلتان في طرافة التصوير الخيالي ولطف علاقاته.

وأبرز ما توصل إليه البحث أن أبا العلاء المعري عندما يخرج عن الأصل في ترتيب عناصر جملته الشعرية فإنه بذلك يقصد إلى تحقيق معان إضافية لا يمكن التوصل إليها إلا عن طريق مخالفة الأصل في ترتيب عناصر الجملة، هذا إلى جانب تفرد النص الشعري لديه بتوظيف بعض المفردات توظيفاً يختلف عن ما شاع في الشعر العربي بصورة عامة، ككثرة استخدامه للضمير (أنا ونحن) في غير الفخر وتعظيم الذات الفردية والجماعية، فلا تجد الضمير (أنا) مثلاً مبتدأً به إلا ووجدت الخبر غالباً مملوءاً بالحزن وإظهار الأسى والتضجر من الناس والدنيا والزمان، وقد حاول البحث إيجاد تفسير لذلك في بعض المواضع.

Abstract

Syntactic Structures: their Significance and Relationship in Abi Al-Alaa Al-Maari's Poetry Composition

This study investigated some of the sentence structures in Abi Al-Alaa Al-Maari's poetry upon which his poetic sentence is built. It also investigated the semantic significance that these structures have and their use in his text design. The careful study of the sentential structure of his poetic text revealed that Abi Al-Alaa Al-Maari used them to achieve two purposes. One: his precision of expression in a controlled structure to achieve deeper and sublime meanings; two: creation of artistic excellence and softness of sense and expression which are realized in the funny fictive images and nice relationships.

The most important findings were that when Abi Al-Alaa Al-Maari deviates from the ordinary structures in his poetic sentence, he means to achieve additional meanings that cannot be reached by other ways other than breaking

the norm. Moreover, his poetic text is unique in the employment of some lexical expressions in a novel way that opposes the commonly known ways in Arabic poetry in general. This is mainly in the excessive use of the pronouns "I" and "we" in ways other that a show of pride and individual and collective self exaggeration. For example, in his poetry, when the referrer pronoun "I" comes at the subject position the complement mainly is full of sadness, remorse and weariness of peoples and the world. Therefore, research has tried to find an explanation to that in some parts of his works.

محاور البحث :

تتضمن هذه الورقة ثلاثة محاور ، وهي :

المحور الأوَّل : تعريف موجز بأبي العلاء المعري

المحور الثاني : الجملة الاسمية ودلالاتها في شعر أبي العلاء

المحور الثالث : الجملة الفعلية ودلالاتها في شعر أبي العلاء

أولاً : أبو العلاء المعري في سطور :

يجمع كثير من مؤرخي الأدب العربي ونقاد الشعر القديم على أن أبا العلاء المعري من كبار الأدباء والشعراء الذين أنتجتهم العبقرية العربية، فقد برز الرجل في كثير من فنون الأدب وشارك مشاركة فعالة في تطوير فن الشعر وفي تغذية النقد الأدبي بآراء وأفكار جديدة، وأثرى اللغة العربية بأساليب وعطاءات إبداعية مستمدة من عبقريتها وأصالتها الفريدة .

ويعرف عنه كثير من الناس تشاؤمه واعتداده بنفسه، أما تشاؤمه فيكشف عنه قوله المشهور :

هذا جَنَاهُ أَبِي عَلَيَّ وَمَا جَنَيْتُ عَلَى أحد[1]

والحق أن المعري لم ينصف – في بيته المذكور – نفسه ولم ينصف أباه، لأن أبا العلاء من جهة شخصه أومن جهة الأبوة كان هدية كبيرة ونعمة من نعم الله التي أنعم بها الخالق سبحانه وتعالى على الثقافة العربية عامة وعلى الأدب العربي بوجه خاص، ولم يكن بهذا جناية لا على أبيه ولا على نفسه،

---

[1] ينظر معجم الأدباء: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، مج 1، ص 396، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991م. في الهامش . ولم يرد البيت في دواوينه الشعرية المطبوعة ، ونقل الصفدي عن خط أبي علاء الدين الوادعي قال : زرت قبره بالمعرة – رحمه الله تعالى – في ربيع الأول سنة تسع وسبعين وستمائة ، ولم أر شيئا من ذلك : ينظر أبو العلاء المعري وعقيدته : المرحوم أحمد تيمور باشا ، ص 14 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ، دط ، 1940م.

ولا أدل على ذلك من عناية الناس به وبأدبه عبر الحقب والعصور، فقد حظيت شخصيته بوافر الاهتمام ودُرِسَ أدبُه بشقيه من جميع جوانبه وأحيط تراثه الإبداعي والفكري بعناية خاصة، لأنه شاعر كبير وأديب بارع، ملأ الدنيا وشغل الناس .

اشتهر الرجل بهذا الاسم المؤلف من الكنية "أبو العلاء" كناه بها آباؤه على عادة العرب، ووردت في ديوانه (لزوم ما لا يلزم) أبياتٌ يذكر فيها عدم رغبته في هذه الكنية تواضعا من ذلك قوله :

دُعيتُ أَبا العَلاءِ وَذاكَ مَينٌ وَلَكِن الصَحيحَ أَبو النُزول[1]

و"المعريّ" ،نسبة إلى بلدته معرة النعمان ، إحدى ضواحي حمص ، قرب حلب ، أما اسمه فهو أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد ابن سليمان بن داوود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن أنور بن أسحم، ينتهي نسبه إلى قضاعة، وقضاعة من عدنان على بعض المذاهب ومن قحطان على مذاهب أخرى.

واشتهر أبو العلاء بالفطنة وحدة الذكاء، والأحاديث في ذلك كثيرة نقلها كل من جمع آثاره، قال ابن العديم : " كان أبو العلاء على غاية من الذكاء والحفظ، وقيل له بم بلغت هذه الرتبة في العلم، فقال ما سمعت شيئا وإلا حفظته، وما حفظت شيئا فنسيته " [2]

وقد عقد ابن العديم فصلا[3] كاملا في ذكر ذكاء أبي العلاء وفطنته وسرعة حفظه وألمعيته وتوقد خاطره وبصيرته وقد نُقِلتْ عنه في ذلك قصصٌ وحكايات كثيرة .

عاش أبو العلاء ستاً وثمانين سنة (86 سنة) في الفترة مابين 363هـ - إلى 449هـ مخلفاً وراءه تراثاً علمياً ضخماً تمثل في الكتب والشروح العديدة في شتى المجالات والفنون، وكان أبرزها مصنفاته في علوم اللغة؛ لأنها الأظهر بين العلوم التي درسها، وقد بلغ عدد مصنفاته إلى ما يزيد على المائتين، وتصانيفه في اللغة والأدب وحده تزيد على مائتي مجلد وهو القائل :

وما أنا إلاّ قَطْرَةٌ مِن سَحابةٍ ولو أنّني صَنّفْتُ ألْفَ كِتاب[4]

وهذه التصانيف العديدة تكشف قدرة الرجل وبراعته وحذقه في كثير من العلوم والفنون، وقد أوردها المؤرخون بترتيب حروف المعجم في صفحات عديدة، ويوجد بين أيدينا الآن من شعر أبي العلاء المطبوع ديوان سقط الزند، وديوان الدرعيات، وديوان اللزوميات، أو ولزوم ما لا يلزم، ويمثل ما فيها من شعر أطوارا مختلفة بدأت منذ أيام الصبا وامتدت إلى آخر عمر شاعرنا رحمه الله.

---

[1] – ديوان لزوم ما لا يلزم : أبو العلاء المعري، برواية الإمام التبريزي، ومراجعة الإمام أبي منصور بن الجواليقي، جـ2، ص267، تقديم وشرح وفهرست : وحيد كبابة وحسن حمد، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، 1425هـ - 2004م.

[2]– تعريف القدماء بأبي العلاء : طه حسين، ص 551، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965م.

[3] – نفسه ، ص 551 وما بعدها .

[4] – ديوان سقط الزند، أبو العلاء المعري ، ص252، دار صادر ، بيروت، دط، دت.

المحور الثاني : الجملة الاسمية ودلالاتها في شعر أبي العلاء

الجملة الاسمية بصورة عامة جملة واسعة الانتشار في النصوص الفصيحة، ويحدها العلماء بأنها الجملة التي يكون مناط الاهتمام فيها موجهاً للاسم، وعلى ذلك يرتكز العلماء والباحثون في التفريق بينها وبين الجملة الفعلية، فالجملة تكون اسمية أو فعلية بحسب ما يتوجه إليه الاهتمام فيها، أو ما يكون هو سبب إنشاء الكلام، فإذا كان الاسم موضع الاهتمام، وعليه يدور الحديث، وهو سبب إنشاء الجملة ابتداءً كانت الجملة اسمية، لأن الاسم يتقدم فيها ثم يتبعه الاخبار عنه سواء كان الخبر اسماً أو فعلاً، وإذا كان الحدث أو الفعل هو موضوع الكلام، وهو مناط الاهتمام تقدم الفعل، وصارت الجملة فعلية، وعلى ذلك يقول اين هشام : " مرادنا بصدر الجملة المسند والمسند إليه فلا عبرة بما تقدم عليهما من حروف، فالجملة من (أقائم الزيدان) و(أزيد أخوك) و(لعل أباك منطلق) و (ما زيد قائماً): اسمية، ومن نحو : (قام زيد، وإن قام زيد، وقد قام زيد، وهلاّ قمت): فعلية "[1].

والجملة الاسمية على قسمين وتحت كل قسم فروع وأنماط عديدة، فالقسم الأول: الجملة الاسمية الأساسية، وهي جملة المبتدأ والخبر، وهما الركنان اللذان أنصبت عليهما دراسة القدماء، وأوردوا لهما تعاريف عدة، قال سيبويه : " المبتدأ كل اسم ابتدئ به ليبنى عليه كلام والمبتدأ والمبني عليه رفع، فالابتداء لا يكون إلا بمبني عليه، فالمبتدأ الأول والمبني ما بعده عليه فهو مسند ومسند إليه "[2] وقال الزمخشري عن المبتدأ والخبر: " وهما الاسمان المجردان للإسناد، نحو قولنا زيد منطلق والمراد بالتجريد إخلاؤهما من العوامل التي هي كان وإن وحسبت وأخواتها ... وإنما اشترط في التجريد أن يكون من أجل الإسناد لأنهما لو جردا لا للإسناد لكانا في حكم الأصوات "[3] وقال ابن يعيش في الشرح : " أعلم أن المبتدأ هو كل اسم ابتدأته وجردته من العوامل اللفظية للإخبار عنه "[4]

وقد لخص عباس حسن في كتابه النحو الوافي تعريفا مجملا لكل من المبتدأ والخبر حيث قال : المبتدأ القياسي هو كل " اسم مرفوع في أول جملته، مجرد من العوامل اللفظية الأصلية، محكوم عليه بأمر،

---

[1] – مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب : جمال الدين بن هاشم الأنصاري ، ص364 ، حققه مازن المبارك ومحمد على حمد الله ، راجعه سعيد الأفغاني ، دار الفكر ، بيروت ، ط1 ، 1419هـ-1999م .

[2] . الكتاب : سيبويه، جـ2 ، ص 126، بتعليق وتحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ، 1999م.

[3] . شرح المفصل : يعيش بن علي بن يعيش ، جـ1 ، ص 83، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، دط، دت.

[4] . المصدر نفسه ، ص83.

وقد يكون مستغنيا بمرفوعه في الإفادة وإتمام الجملة "[1]. وعن الخبر قال : هو " اللفظ الذي يكمل الجملة مع المبتدأ ويتمم معناها الأساسي بشرط أن يكون المبتدأ غير وصف "[2] .

والقسم الثاني من قسمي الجملة الاسمية هو الجملة الاسمية المنسوخة، وتندرج تحتها كل الجمل التي يدخل عليها ناسخ، وليس بالإمكان تتبع كل هذه الأقسام بتفريعاتها وأنماطها موضعاً موضعاً في شعر أبي العلاء في هذه الدراسة الموجزة، ولكننا سنقق عند أبرز صور التركيب في شعره من خلال النماذج الشعرية التي سيتم اختيارها ضمن فرعين هما الضمير، والمضاف، من جملة المعارف الستة من أفرع الجملة الاسمية .

الأول : الضمير المبتدأ به والمخبر عنه بنكرة :

الضمير هو أحد المعارف الستة، وهو أعرفها، قال أبو البركات الأنباري : "فإن قيل فما أعرف هذه المعارف ؟ قيل : اختلف النحويون في ذلك فذهب بعضهم إلى أن الاسم المضمر أعرف المعارف، ثم الاسم العلم ثم الاسم المبهم ثم ما فيه الألف واللام بخلاف غيره من سائر المعارف والذي يدل على أن الضمائر أعرف المعارف أنها لا تفتقر إلى أن توصف كغيرها من المعارف، وهو قول سيبويه . وذهب بعضهم إلى أن الاسم المبهم أعرف المعارف، ثم المضمر، ثم العلم، ثم ما فيه الألف واللام، وهو قول أبي بكر ابن السراج .وذهب آخرون إلى أن أعرف المعارف الاسم العلم، لأنه في أول وضعه لا يكون له مشارك به، ثم المضمر ثم المبهم، ثم ما عرف بالألف واللام، فأما ما عرف بالإضافة فتعريفه بحسب ما يضاف إليه من المضمر، والعلم، والمبهم، وما فيه الألف واللام، على اختلاف الأقوال "[3] .

وفي هذا الفرع من التركيب جملٌ عديدةٌ في أبيات متفرقة في شعر أبي العلاء منها الضمير أنا مخبر عنه بنكرة كقوله:

أَنَا للضّرورة فِي الحياةِ مقارنٌ *** ما زلتُ أسبحُ في البحورِ الموّج[4]

والجملة المعنية في البيت قوله: (أنا للضرورة في الحياة مقارن)، حيث بدأ الجملة بالضمير (أنا) وأخبر عنه بمفرد منكر وهو (مقارن)، وقد فصل الجاران والمجروران (للضرورة) و (في الحياة) بين المبتدأ وخبره.

وورد المبتدأ متلواً بخبره دون فصل في مواضع أخرى منها قوله:

أَنا جاهِلٌ إلّا بِأَمرٍ واحِدٍ ما عالَمي هذا بِأَهلِ تَأَنُسِ[5]

وقوله:

---

[1] . النحو الوافي : عباس حسن ، جـ1 ، ص 442 ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ، دت.

[2] . المرجع نفسه، 442.

[3] أسرار العربية : كمال الدين أبو البركات الأنباري ، ص 113 ، تحقيق محمد بهجة البيطار ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق ، سورية 1957م.

[4] ديوان لزوم ملا يلزم، جـ1، ص 249.

[5] ديوان لزوم ما لا يلزم، ج1، ص 649.

أَنا أَعمى فَكَيفَ أُهدى إِلى المِنِ هَجِ وَالناسُ كُلُّهُم عُميانُ [1]

فالجملتان في هذين البيتين وهما (أنا جاهل)، و (أنا أعمي) جاء في كلتيهما المبتدأ متلواً بخبره دون أن يفصل بينهما فاصل والجمل في الأمثلة السابقة جميعها مثبتة، ووردت في هذا التركيب جمل قليلة منفيّة، كقوله:

أعومُ البحرَ والحيتان حولي *** وما أنا مُحسنٌ في ذاك عومي[2]

وقوله:

وَما أَنا يائِسٌ مِن عفوِ رَبّي *** عَلى ما كانَ من عَمدٍ وَسَهوِ [3]

وورد الضمير (أنا) والضمير (نحن) بقلة، نحو:

ونحن فوق التراب ثقلٌ *** يكاد من تحتنا يخور[4]

وورد الضمير (نحن) في جمل استفهامية قليلة منها قوله:

أنحن أفضل أم أشياء جامدة *** أضحت سواء لديها العين والأثر[5]

وهذا التركيب كثير شائع في الشعر العربي، أعني ضمير المتكلم أو المتكلمين المخبر عنه بمفرد منكراً كان أو معرّفاً، إلا أن الملاحظ في شعر المعري كثرة استخدامه في معانٍ ليست بهذه الكثرة في تراكيب الشعراء، فالضمائر (أنا) و(نحن) ونحوها يغلب ورودها في الشعر في باب الفخر والاعتزاز وتعظيم الذات الفردية أو الجماعية، فلو استقرأنا ذلك في المعلقات السبع ـ على سبيل المثال ـ نكاد لا نظفر إلا بأمثلة محدودة جداً لجملتنا السابقة في غير الفخر واستظهار القوة والمجد والعزة أما شواهد الفخر فلا يكلفك العثور عليها كثير عناء من مثل قول طرفة[6]:

أَنا الرَجُلُ الضَربُ الَّذي تَعرِفونَهُ *** خَشاشٌ كَرَأسِ الحَيَّةِ المُتَوَقِّدِ[7]

ومعلقة عمرو بن كلثوم[1] تعج بذلك في مواضع كثيرة من نحو:

---

[1] ديوان لزوم ما لا يلزم، ج2، ص 455 ، والبيت من قصيدة من البحر الخفيف ، وفيه اختلال في الوزن.

[2] ديوان لزوم ما لا يلزم، ج2، ص 403

[3] ديوان لزوم ما لا يلزم، ج2، ص 604.

[4] ديوان لزوم ما لا يلزم، ج 1، ص 411.

[5] ديوان لزوم ما لا يلزم، ج1، ص 403.

[6] هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الشاعر الجاهلي المشهور من الطبقة الأولى صاحب معلقة (لخولة أطلال ببرقة ثهمد)، ولد في البحرين، وتنقل في بقاع نجد، توفي في البحرين مقتولا بأمر من الملك عمرو بن هند سنة 60 قبل الهجرة وعمره عشرون عاماً وقيل خمسة وعشرون. ينظر الأعلام : الزركلي، ج3، ص225.

[7] شرح المعلقات السبع: أبو عبد الله الحسين أحمد الزوزني ، ص 90، مكتبة الرياض الحديثة، دط ، دت.

وَنَحنُ الحابِسونَ إِذا عَزَمنا وَنَحنُ المقدِمونَ إِذا لَقينا
وَنَحنُ المانِعونَ إِذا أَرَدنا وَنَحنُ النازِلونَ بِحَيثُ شينا[2]

وفي غير المعلقات:

أَنا البَدرُ يُعشي طَرفَ عَينَيكَ فَالتَمِس بِكَفَّيكَ يا اِبنَ الكَلبِ هَل أَنتَ نائِلُه[3]

وأيضاً

أَنا السابِقُ المِعروفُ يَوماً إِذا اِنجَلَت عَجاجَةُ رَيعانِ الجِيادِ الأَوائِلِ[4]

وعلى عكس ذلك تري المعني عند أبي العلاء، فلا تجد الضمير (أنا) – مثلاً- مبتدأ به إلا ووجدت الخبر غالباً مملوءاً بالحزن وإظهار الأسى والتضجر من الناس والدنيا والزمان، ولا شك أنّ للحياة العامة دوراً في ذلك، فقد كانت سيئة رديئة من الناحية السياسية والخلقية والدينية والاجتماعية، لذلك نجده يذم عصره وأهل زمانه في أشعار كثيرة، ولا غرابة عندئذ أن تكثر هذا الضمائر في تراكيب تكون السمة الغالبة فيها هذا الضرب من التعبير، ولك أن تعيد قراءة بيته:

أَنا أَعمى فَكَيفَ أُهدى إِلى المِنـ ـهَجِ وَالناسُ كُلُّهُم عُميانُ[5]

فهو يحكم على الناس بأنهم عميان البصيرة، وهو أعمى البصر، لذلك لا يستطيع هدايتهم، وللمنتقد الحق في أن يقول عمي البصر لا يمنع من هداية عميان البصيرة، ولكنّ أبا العلاء كان شديد الميل إلى الإخبار بعلته التي لطالما بكي واشتكى من آثارها، وأول قصيدته التي منها البيت يصور بجلاء هذا التشكي.

كُلُّ ذِكرٍ مِن بَعدِهِ نِسيانُ وَتَغيبُ الآثارُ وَالأَعيانُ
إِنَّما هَذِهِ الحَياةُ عَناءٌ فَلِيُخَبِّرْكَ عَن أَذاها العِيانُ[6]

---

[1] هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب، الشاعر الجاهلي المعروف، من الطبقة الأولى شاعر معلقة (ألا هبي بصحنك فاصبحينا)، ولد في شمال الجزيرة العربية، وتوفي في الجزيرة الفراتية عن عمر طويل سنة40 قبل الهجرة، ينظر الأعلام : الزركلي ، جـ5، ص84.

[2] شرح المعلقات السبع: الزوزني، ص 182.

[3] ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له : الأستاذ علي فاعور، ص 504، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 1407هـ . 1987م.

[4] ديوان الفرزدق، ص476.

[5] ديوان لزوم ما لا يلزم جـ2 ، ص 455 ، والبيت من قصيدة من البحر الخفيف ، وفيه اختلال في الوزن.

[6] ديوان لزوم ما لا يلزم، 2، ص 454.

فكل مذكور مصيره النسيان، وكل مذكور سيصير إلى الزوال، وإذا سألت عن خبر هذه الحياة فأسأل عن شرورها وأذاها.. وهكذا يصور الحياة فهي ليست إلا شروراً وأذى، والقصر في أول البيت الثاني يتضافر مع المعني لتقوية هذا القصد (إنما الحياة عناء).

ولا يعني هذا بحال أن أبا العلاء لم يفتخر، بل في شعره من هذا التركيب ذاته قوله:

يهم الليالي بعضُ ما أنا مضمرٌ *** ويثقل رضوى دون ما أنا حاملُ

وإني وإن كنتُ الأخير زمانه *** لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ[1]

ولكنه ليس ميّالاً إلى ذلك أو كما تقول الباحثة ميسون محمود فخري "مهما فخر أبو العلاء بنفسه، فإنه لم يكن يتجاوز الحد الأعظم في الحديث عن نفسه مقارنة بغيره من الشعراء، والسبب في ذلك يعود إلى أن طبيعة أبي العلاء لم تكن بطبيعة الرجل الفخور"[2]. هذا إلى جانب ما ذكرنا سابقاً من أسباب.

ثانياً : المضاف:

الإضافة عند النحاة قسمان: إضافة محضة وتسمي أيضاً إضافة معنوية وهي التي تفيد المضاف تعريفاً إذا كان المضاف إليه معرفة مثل (جاء غلام زيد) وتخصيصاً إذا كان المضاف إليه نكرة مثل (هذا ثوب امرأة)، والقسم الثاني: الإضافة غير المحضة أو الإضافة اللفظية، وهي التي لا تفيد المضاف تعريفاً ولا تخصيصاً، وإنما يُجاءُ بها للتخفيف في اللفظ، وضابطها أن يكون المضاف وصفاً عاملاً يشبه الفعل المضارع مثل (هذا مضروب الأب)[3]، ويعرف العلماء الإضافة بأنها نسبة تكون بين اسمين مقترنين على تقدير حرف جر ذي معنى بينهما "[4]ويلجأ الشاعر أو الكاتب إليها لسبب من الأسباب التي تعرض له وذلك:

- أن يتخذها طريقاً للاقتصار في مقام يقتضي ذلك.
- أو يستغني بها عن تفصيل متعسر أو غير ممكن.
- أو يتخذها ذريعة للتعظيم أو التحقير أو يضمنها معنىً يشار إليه بها كالتحريض على الإكرام نحو: هذا صديقك يزورك، أو التحريض على الإهانة والإذلال نحو: هذا عدوك مقبل إليك، أو التحريض على البر

---

[1] ديوان سقط الزند، أبو العلاء المعري، ص193.

[2] النقد الاجتماعي في لزوميات أبي العلاء المعري، ص26، (رسالة ماجستير) إعداد ميسون محمود فخري، إشراف أ.د. إبراهيم الخواجة جامعة النجاح الوطنية، فلسطين 1426هـ، 2005م.

[3] ينظر شرح ابن عقيل، ج2، ص34 ما بعدها

[4] – البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد ، تأليف وتأمل: عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني ، ج1، ص447 ، دار القلم دمشق والدار الشامية بيروت، ط1، 1426هـ-1996م.

نحو: هذا أبوك الذي رباك، أو إرادة الاستهزاء والتهكم[1]. كأن تقول: هذا رئيسنا أو زعيمنا وأنت تقصد الاستهزاء، ونحو ذلك.

وللمبتدأ المضاف المخبر عنه بمعرفة أمثلة كثيرة جداً في شعر المعري وتتنوع صور المضاف، من مضاف إلى ضمير ومضاف إلى اسم ظاهر، أو اجتماع أكثر من مضاف ونحو ذلك، وأكثر الصور شيوعاً في هذا الفرع كانت من بناء:

مبتدأ مضاف إلى ضمير (ناء) + خبر معرّف بالألف واللام

ومنه:

مَحمودُنا اللهُ وَالمسعودُ خائِفُهُ فَعَدِّ عَن ذِكرِ مَحمودٍ وَمَسعودِ [2]

ومبتدأ مضاف إلى مضاف إلى ضمير (الكاف) + خبر مضاف إلى معرّف بالألف واللام ومنه:

آناءُ لَيلِكَ وَالنَهارُ كِلاهُما مِثلُ الإِناءِ مِنَ الحَوادِثِ مُفعَمُ [3]

ومبتدأ مضاف إلى ضمير (ياء المتكلم) + خبر مضاف إلى ضمير (ياء المتكلم) ومنه :

ثِيابِيَ أَكفاني وَرَمسِيَ[4] مَنزِلي وَعَيشي حِمامي وَالمنِيَّةُ لِيَ بَعثُ [5]

ومبتدأ مضاف إلى ضمير (ياء المتكلم) + خبر مضاف إلى معرّف بالألف واللام ومنه:

حالِيَ حالُ اليائِسِ الراجي وَإِنَّما أَرجِعُ أَدراجي [6]

ومبتدأ مضاف إلى ضمير (هم) + خبر مضاف إلى ضمير (هم)

مَغافِرُهُمْ تِيجانُهُمْ وحُبَاهُمُ حَمائِلُهُم وَالفَرْعُ يُنمى إلى الجِذْمِ [7]

ومبتدأ مضاف إلى ضمير (هم) + خبر مضاف إلى معرّف بالألف واللام

ذُيولُهُم كَثيراتُ المِخازي لِما فَقَدوهُ مِن نُصحِ الجُيوبِ [8]

هذه هي الصور الأكثر شيوعاً في هذا الفرع ويرد في صور أخرى فيأتي المبتدأ مضافاً إلى اسم إشارة أو إلى الضمير (ها) أو غيرها نحو قوله:

مَصائِبُ هَذِهِ الدُنّيا كَثيرَةٌ وَأَيسَرُها عَلى الفَطينِ الحِمامُ [1]

---

[1] – البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها : حنبكة، ج2، ص447.

[2] – ديوان لزوم ما لا يلزم، ج1، ص353.

[3] – ديوان لزوم ما لا يلزم، ج2،ص337.

[4] الرمس : القبر، ينظر لسان العرب، ج6، ص 101. مادة(رمس).

[5] – ديوان لزوم ما لا يلزم، ج1، ص223.

[6] – ديوان لزوم ما لا يلزم، ج1، ص252.

[7] – ديوان سقط الزند ، ص21.

[8] – ديوان لزوم ما لا يلزم، ج1، ص147

وأكثرُ توظيفٍ للإضافةِ من الأبيات السابقة ظهر في قوله:

ثِيابِيَ أَكفاني وَرَمسِيَ مَنزِلي وَعَيشي حِمامي وَالمِنِيَّةُ لِيَ بَعثُ

فقد أضاف إلى نفسه الأكفان وكذلك الرَّمس- وهو القبر- ثم العيش والحِمام وأفرد المنية عن الإضافة، ومراده : أن الثياب التي يلبسها هي أكفانه والمنزل الذي يعيش فيه هو القبر أو كالقبر والعيش إنما هو الموت، أما الموت الحقيقي فذاك هو الحياة بالنسبة إليه.

وتظهر قوة الدلالة في إضافة الأكفان والثياب والرَّمس والمنزل والباقي وإفراد المنية، في أنه- لتأكيد المعنى وتقوية تأثيره- أضاف كل ما هو غير حقيقي إلى نفسه، وأفرد الكلمة الوحيدة الدالة على معناها الحقيقي- وهي المنية - عن الإضافة، وذلك لأن الثياب حقيقية ليست أكفاناً والمنازل ليست قبوراً والعيش بالطبع شيء غير الموت، والسؤال لم فعل ذلك ؟ والجواب — والله أعلم- أنه لما كان يتكلم عن نفسه خاصة وعكس معاني هذه المفردات لزم عليه إضافتها لنفسه ليؤكد بذلك حقيقة ما يعيشه، وأما المنية فهي معنىً عام، وحقيقة ثابتة معروفة لكل الناس، وموروثة لكل ذي روح، فجعلها مفردة إلى جانب أنها الشيء المفقود بالنسبة إليه، لأنه إذا ما تحقق لديه الموت فذلك يعني أنه بُعِثَ للحياة من هذا الموت الذي هو فيه الآن حسبما يقول، ولذلك جعل المنية غير مضافة إلى نفسه لأنها لم تتحقق، وأخبر عنها بـ(بعث) في آخر البيت.

وليس هذا وحده ما حققته الإضافة في هذا البيت، بل إلى جانب ذلك استطاع أن يكثف المعنى في عبارات موجزة قصيرة لو بسطتها لربما ألّفت قصيدة أو مقطعاً بأكمله، كما أنّ الدور الموسيقي ظاهر في هذا التناغم بين الجمل الثلاثة (ثيابي أكفاني) و (رَمْسِي منزلي) و (عيشي حمامي)، والله تعالى أعلم.

المحور الثاني : الجملة الفعلية ودلالتها في شعر أبي العلاء:

للجمة الفعلية — بأقسامها وفروعها وأنماطاها المختلفة - شواهد كثيرة في أشعار أبي العلاء نختار منها النماذج التالية :

قال :

وأمَّتني إلى الأجداث أمٌّ يعزُّ عليَّ أنْ سارتْ أمامي[2]

والأجداث : جمع جدث، وهو القبر[3].

---

[1] - ديوان لزوم ما لا يلزم، ج1، ص328.

[2] ديوان سقط الزند ، ص 39 .

[3] ينظر لسان العرب ، ج2 ، ص 128 ، مادو (ج د ث) .

وهذا البيت ثاني أبيات مطولته التي يرثي فيها والدته، لما تلقى خبر وفاتها وهو قادم من العراق وأولها:

سَمِعْتُ نَعِيّها صَمّا صَمامِ وإنْ قالَ العَوَاذِلُ لا هَمَامِ
وأَمَتْني إلى الأجْداثِ أُمٌّ يَعِزّ عَلَيّ أنْ سارَتْ أمامي
وأُكْبِرُ أنْ يُرَثّيها لِساني بلَفْظٍ سالِكٍ طُرُقَ الطّعامِ
يُقالُ فيهْتِمُ الأنْيابَ قَوْلٌ يُباشِرُها بأنْبَاءٍ عِظَامِ
كأنّ نَواجِذي رُدِيَتْ بصَخْرٍ ولم يَمْرُرْ بِهِنَّ سِوَى كلامِ
ومَنْ لي أن أصُوغَ الشُّهْبَ شِعْراً فأُلْبِسُ قَبْرَهَا سِمْطَيْ نِظامِ
مَضَتْ وقد اكتَهَلتُ فخِلتُ أنّي رَضِيعٌ ما بَلَغْتُ مَدى الفِطامِ[1]

قال طه حسين : "كان لهذا الخبر في نفس أبي العلاء ثورة عنيفة، بزل فيها آخر ما كان يملك من ثقة بالدهر، واطمئنان على الأيام "[2] وكان قد كتب قبل القصيدة رسالة[3] موجزة إلى خاله يشتكي فيها حرارة الحزن، وشدة الألم، وقد سكب فيها كل دمعة حزن وعبرة ألم .

وقوله : (وأَمَّتني إلى الأجداث أمٌّ) جملة فعلية فعلها ماضٍ مبني للمعلوم وهو (أمَّ) والفاعل اسم ظاهر نكرة وهو (أمٌّ)، والضمير الياء في (أمّتني) في محل نصب مفعول به وقد تقدم على الفاعل وجوباً لمجيئه ضميراً والفاعل اسم ظاهر . ولعل قوة حركة الوجدان وحرارة الإحساس بالألم وشدة الانفعال بالفراق الأبدي قد بعث في الشاعر هذا الفوران الذي لا يستجيب التعبير عنه إلا بفعل وذلك لأن بين الإخبار بالاسم والإخبار بالفعل فرقاً، وأنه –كما يقول عبد القاهر الجرجاني " فرق لطيف تمس الحاجة في علم البلاغة إليه"[4]، والعلماء يهتمون اهتماماً واسعاً باختلاف دلالات هذه الصيغ ولهم فيها نظرات تأملية ثاقبة ودقيقة، حيث يفرقون بين دلالة الاسم ودلالة الفعل وبين دلالة الفعل الماضي والفعل المضارع وفعل الأمر، بل يفرقون بين الصيغ المختلفة التي يجئ عليها الفعل الواحد، وكل ذلك يتحدد من خلال " أهمية صيغة الكلمة وإصابتها لموقعها وأثرها في النفس "[5] في التركيب المعين في المقام

---

[1] ديوان سقط الزند ، ص 39 .

[2] تجديد ذكرى أبي العلاء : طه حسين ، ص 150 .

[3] ينظر تجديد ذكرى أبي العلاء : طه حسين ، ص 150 .

[4] دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، ص182 ، حققه وقدم له الدكتور محمد رضوان الداية والدكتور فائز الداية ، مكتبة سعد الدين ، دمشق ، سوريا ، ص ب 3143 ، ط2 ، 1407هـ-1987م .

[5] البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية : د. محمد محمد أبو موسى ، ص284 .

المحدد، فليس من السهل تصور الفرق – مثلاً – بين الفعل "كسب واكتسب " خارج التركيب، ولكن الزمخشري يجلى ذلك بوضوح في السياق القرآني، يقول الدكتور محمد أبو موسى في البلاغة القرآنية " ويفرق [أي : الزمخشري] بين دلالة (فعل) و (افتعل) ويشير إلى ما فيها من معاني الاهتمام والاعتمال ... يقول في قوله تعالى : (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ)[1] : " فإن قلت : لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب ؟ قلت في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهى منجذبة إليه وأمارة به كانت في تحصيله أعمل وأجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه، ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال " [2] .

وعلى ذلك فإنَّ تلك الزفرات الحارة التي كان يصعدها أبو العلاء حين وصل إلى المعرة مفتقداً من كان يرجو لقائه ويحرص أشد الحرص على وداعه والتزود منه – فيما نرى – قد دفعته دفعاً للتعبير عن ذلك بالجملة الفعلية لما فيها من حركة وإلهاب توافق ما يختلج في بواطنه من إحساس بالألم وشعور بالحزن، ثم نكر الشاعر الفاعل في هذه الجملة تعظيما لقدره وإجلالاً له، فليس تنكير (أم) في البيت للإبهام لأن كل من يقرأ القصيدة سيدرك بغير أدنى جهد أن أبا العلاء يتكلم عن أمه التي ولدته والتعظيم عن طريق التنكير له أمثلة كثيرة في النصوص الفصيحة منها قوله تعالى في الذكر الحكيم (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ)[3] فتنكير نائب الفاعل (رسل) في الآية الكريمة لغرض التعظيم والتكثير، قال الزمخشري : " فإن قلت : ما معنى التنكير في رسل ؟ قلت : معناه فقد كذبت رسل، أي رسل ذوو عدد كثير . وأولوا آيات ونذر . وأهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم، وما أشبه ذلك، وهذا أسلى له، وأحثّ على المصابرة "[4] وقال القزويني : " أي رسل ذو عدد كثير وآيات عظام وأعمار طويلة ونحو ذلك "[5] والله تعالى أعلم .

ومما ورد في هذا التركيب أيضاً قوله :

---

[1] سورة البقرة ، الآية 286 .

[2] البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري : محمد أبو موسى ، ص284 .

[3] من الآية 4 من سورة فاطر .

[4] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ج3، ص 603، تحقيق : عبد الرازق المهدي، دار إحياء التراث، بيروت، دط، دت..

[5] الإيضاح في علوم البلاغة : جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، ص65، قدم له وبوبه وشرحه الدكتور علي بو ملحم، دار مكتبة الهلال، بيروت لبنان، ط2، 1991م.

وَهَدى لَها قَدرٌ أُتيحَ بِسُدفَةٍ صَقراً فَفَجَّعَ بِالهَديلِ هِدالَها [1]

من مقطع أوله :

تدري الحمامةُ حين تهتف بالضحى أن لأجادل لا تطيل جدالها

وهَدَى لها قدرٌ أتيح بسدفةٍ البيت .....

وجملة الفعل الماضي هي قوله : (وهدى لها قدر أتيح بسدفة صقراً)، فـ(هدى) : فعل ماض مبنى للمعلوم مذكر وفاعله اسم ظاهر نكرة وهو (قَدْرٌ) و (صقراً) مفعول به وقد فصلت جملة (أتيح بسدفة) بين المفعول به وبين جملته وجملة (أتيح) هذه معترضة لا محل لها من الإعراب أو تكون صفة لـ (قَدْر) والله أعلم .

واستعمال الضمير في قوله : (وهدى لها) قد أدى إلى نتيجتين :

الأولى : الإيجاز، حيث لم يشأ الشاعر تكرار الاسم الظاهر " الحمامة " ليقول – مثلاً – (وهدى للحمامة) .

الثانية : أحدث اتصال الضمير بالجار والمجرور في مطلع البيت (وهدى لها) شبه تعادل بين هذا الفعل الذي بدأ به البيت ومفعول الجملة المعطوفة الذي ختم به البيت (هدالها) .

وقد ملأ حشو البيت بعدد من الأفعال والمجرورات لتحقيق هذا الدور الإيقاعي (أتيح . بسدفة . ففجع . بالهديل)، وأخر مفعول الجملة الثانية (هدالها) لأجل القافية .

وقد أنبنى سائر هذا البيت على جملة الفعل الماضي هذه التي فاعلها اسم ظاهر نكرة وهى : (وهدى لها قدر أتيح بسدفةٍ صقراً) .

وذكرنا – فيما سبق – أن المفعول في (أمتني) تقدم على الفاعل وجوباً، وكذلك في قوله :

فصرَّفني فغيَّرني زمانٌ سيعقبني بحذفٍ وادِّغام[2]

وذلك لمجيء المفعول ضميراً والفاعل اسم ظاهر كما تقدم، والضمير في كلتا الجملتين المتقدمتين ياء المتكلم، وجاء الضمير (الهاء) مفعولاً بذات الترتيب في قوله:

وَكَفَّرَها لَيلٌ تَرَهَّبَ شُهبُهُ تُخالُ يَهوداً عاقَ عَن سَيرِها السَبتُ[3]

وقوله :

وَهَيَّجَها قَولٌ يُقالُ عَنِ الحِمى وَذاكَ حَديثٌ ما مُحَدِّثُهُ ثَبَتُ[1]

---

[1] ديوان لزوم ما لا يلزم جـ2 ، ص 215 . والسدفة : الظلمة ، والهديل : صوت الحمامة ، والهدال : ما تدلى من الأغصان ، والمعنى : أتاح لها القدر ، ليلاً ، صقراً مفترساً ترك الأغصان بعدها في حزن شديد . ينظر هامش الديوان جـ1 ، ص 215 ولسان العرب جـ4 ، ص 583 ، مادة (س د ف) .

[2] ديوان لزوم ما لا يلزم ، ص 41 .

[3] ديوان لزوم ما لا يلزم ، جـ1 ، ص 173 .

فالضمير الهاء في البيتين تقدم على الفاعل الظاهر وجوباً

ومن موجبات تقدم المفعول به على الفاعل أيضاً :

- إذا كان الفاعل محصوراً بإنما نحو : (إنما ضرب عمراً زيد)، هذا بخلاف المحصور بإلا ؛ فإنه لم يتفق على تأخير المحصور بها.
- ويتقدم المفعول على الفاعل أيضاً إذا اشتمل على ضمير يرجع إلى الفاعل المتأخر نحو : (خاف ربه عمر)، وشذ العكس أي : اشتمال الفاعل لضمير يرجع إلى المفعول المتأخر نحو : " زان نوره الشجر "، وهو ما عبر عنه ابن مالك في الألفية بقوله :

وشاع نحو : (خاف ربَّه عمر) وشذّ نحو (زان نورُه الشجر)

ويمكن تلخيص أهمَّ الملاحظات النحوية في هذا التركيب في شعر أبي العلاء على النحو التالي:

1/ الفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول به وحده نحو قوله : (فغيرني زمان) وقوله : (وكفرها ليل) وقوله : (وهيجها قول) من الأبيات المتقدمة.

2/ الفصل بين الفعل والفاعل بالجار والمجرور وحدهما نحو قوله : (وهدى لها قدر أتيح بسدفة صقراً)، فقد فصل الجار والمجرور (لها) بين الفعل (هدى) وفاعله المنكر (قدر) .

3/ الفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول به مع غيره ومثاله مما تقدم قوله : (وأمتني إلى الأجداث أم)، فقد فصل الضمير في (أمتني) والجار والمجر (إلى الأجداث) بين الفعل (أمَّ) وفاعله (أمٌّ) .

4/ ندرة التزام أبي العلاء بالموقعية الأصلية للجملة الفعلية التي فاعلها نكرة، فقلما نجد في شعره في هذا التركيب جملة على نحو (ضرب رجل غلاماً) كما ذكرنا دون أن يتقدم عنصر من هذه العناصر على آخر أو يفصل بينهما فاصل مع أن ذلك كثير في شعره في غير هذا التركيب من ذلك قوله في نمط الفاعل المعرفة :

لَحا اللهُ غاراتِ السِنينَ فَإِنَّها مُبَدِّلَةٌ ظِلمانَها بِرِيالِ[2]

فأنت ترى هنا ترتيب عناصر الجملة الفعلية قد جاء على أصله، فـ(لحا) : فعل ماض، والاسم الكريم في محل رفع فاعل، وغارات : مفعول به منصوب وعلامة نصبه الكسرة لأنه جمع مؤنث سالم وهو مضاف والسنين مضاف إليه.

والسؤال إذن ما علاقة الخروج عن الأصل في ترتيب عناصر الجملة الفعلية بالتنكير في شعر أبي العلاء ؟

---

[1] ديوان لزوم ما لا يلزم ، جـ1 ، ص 173.

[2] ديوان لزوم ما لا يلزم جـ2 ، ص 239 . ولحاها : أي قبحها ولعنها ، والظلمان : جمع ظليم ، وهو ذكر النعام . ينظر لسان العرب ، جـ1 ، ص 51 . مادة (ظ ل م) ، وهامش الديوان جـ2 ، ص 239 .

ويرجح أن تكون لدواعي الخروج عن الأصل في ترتيب عناصر الجملة الفعلية علاقة بالوزن إلا أن ذلك كله لا ينحصر في هذا الغرض من تراكيب هذا النمط ؛ فكثير من ذلك يوظف . إلى جانب الوزن . لتأدية بعض المعاني والدلالات التي ربما لا تتحقق بسواه على نحو حديثنا عن قوله :

وأمَتْني إلى الأجْـداثِ أُمٌّ يَعِزّ عَلَيّ أنْ سارَتْ أمامي

فالغرض الموسيقى الذي تم تحقيقه من خلال تقديم الجار والمجرور (إلى الأجداث) في جملة الفعل الماضي التي أنبنى عليها هذا البيت لا يُخْفي بحال من الأحوال قوة الدلالة التي أداها هذا التقديم، وذلك لأن الشاعر أراد . قبل الاسترسال في الخبر . أن يعلم القارئ أولاً أن من يقوده في هذه الخطوات إنما يقوده إلى القبور لا إلى جنة وارفة الظلال ولا إلى قصر منيف ولا دار رحبة، فالخطب جلل والمصاب عظيم وذلك لأنه لا يقود إلى القبور إلا الموت ومن هنا تتجلى ضرورة وقوع الجار والمجرور في هذه الرتبة لإضافة هذا المعنى مع العلم بأن الجار والمجرور في هذا الموضع واجب وقوعه لتشكيل بناء تفاعيل صدر البحر الوافر ولا يستقيم الوزن بغيره بهذه الكلمات المؤلفة لهذه الجملة، ولكن رغم ذلك لا يمكن وضع أهمية الوزن هنا فوق قوة الدلالة هذه، لأن الوزن إن لم يتطرد بهذه الكلمات فقد يستقيم بغيرها والله أعلم . أمّا الدور الإيقاعي الذي أداه التقديم والتأخير في قوله

شكا خُزَزٌ حوادثَها وليثٌ فما رُحِمَ الزئيرُ ولا الضغيبُ[1]

فظاهر لا يخفي، فجملة : (شكا خُزَزٌ حوادثَها وليثٌ)، تأخَّرَ فيها (ليث) إلى ما بعد المفعول به وحقه أن يلي الفاعل لأنه معطوف عليه ومشترك معه في الحكم واللفظ لكن الوزن هو الذي أقتضى هذا الترتيب ولا أظن شيئاً غير ذلك قد حمل الشاعر إلى هذا الخروج والله تعالى أعلم .

وإن كان التنكير فيما تقدم قد أدى ذاك الغرض فإنه أيضاً يؤدى أغراضاً أخرى في مواضع كثيرة في شعره، فللتنكير دلالات ومعاني عديدة في الأساليب الفصيحة يقول الزمخشري في قوله تعالى : (أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ)[2]، ونكر " هدى " ليفيد ضرباً مبهماً لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كأنه قيل أي هدى كما تقول لو أبصرت فلاناً : لأبصرت رجلاً "[3]، ويقول الدكتور محمد أبو موسى : " قول لبيد أو يعتلق بعض النفوس حمامها، أراد بـ (بعض) نفسه وإنما قصد تفخيم شأنه بهذا

---

[1] ديوان لزوم ما لا يلزم جـ 1 ، ص 95 ، والخُزَز : ذكر الأرنب ، والضغيب صوتها . يريد : أن الجميع يشكون مصائب الحياة ضعيفها وقويها ، أرنبها وأسدها ، وهي لا ترحم غضب القوي ولا تلتفت إلى توسلات الضعيف ، لا تبالي بصوت الأسد أو صوت الأرنب : ينظر هامش الديوان جـ1 ، ص95 ولسان العرب مادة (خ ز ز) جـ1 ، 434 ومادة (ض غ ي ب) جـ1 ، ص 551

[2] سورة البقرة ، من الآية 5 .

[3] الكشاف : الزمخشري ، ج1 ، ص35 .

الإبهام كأنه قال : نفسا كبيرة ونفسا أي نفس "[1] والبيت من معلقة لبيد بن ربيعة[2] وذاك عجزه وصدره " تَرّاكُ أَمكِنَةٍ إِذا لَمَ أَرضَها"[3] .

قال الزوزني[4] في شرحه : " ومن جعل بعض النفوس بمعنى كل النفوس فقد أخطأ لأن بعض لا يفيد العموم والاستيعاب "[5]، ويقول الزمخشري في قوله تعالى : (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ)[6] : " والظاهر أنه أراد محمداً لأنه المفضل عليهم، وفي هذا الإبهام من تفخيم فضله وإعلاء قدره ما لا يخفي لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل : من فعل هذا ؟ فيقول : أحدكم أو بعضكم، يريد الذي تعورف واشتهر بنحوه من الأفعال فيكون أفخم من التصريح وأنوه بصاحبه " [7].

وكذا تلمح شيئاً من هذا في بعض تراكيب أبي العلاء في هذا النمط كقوله :

جاءَت مِنَ الفَلَكِ العُلويّ حادِثَةٌ فيها اِستَوى جُبَناءُ القَومِ وَاللَيسُ[8]

والحادثة هنا أراد بها يوم الحشر وليس يوم الحشر بخفي حتى يجعل منكوراً ولكن الشاعر أراد لفت الانتباه والإثارة بهذا الإبهام " والإبهام عنصر من عناصر الإثارة في الكلام "[1] .

---

[1] البلاغة القرآنية : د. محمد أبو موسى ، ص316 .

[2] لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري: أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، من أهل عالية نجد. أدرك الإسلام، وأسلم، ويعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم. وترك الشعر، فلم يقل في الإسلام إلا بيتا واحدا، قيل: هو " ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح " وهو أحد أصحاب المعلقات. ومطلع معلقته: " عفت الديار محلها فمقامها بمنى، تأبد غولها فرجامها " توفي سنة 41هـ. ينظر الأعلام : الزركلي، جـ5، 240.

[3] شرح المعلقات السبع : تأليف أبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني ، ص151 ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، د ط ، د ت .

[4] هو الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني ، أبو عبد الله ، عالم بالأدب ، قاضى ، من أهل زوزن " بين هداة ونيسابور " له شرح المعلقات السبع ، والمصادر ، وترجمان القرآن بالعربية والفارسية ، الإعلام : خير الدين الزركلي ، ج2 ، ص231

[5] شرح المعلقات السبع : الزوزني ، ص151 .

[6] سورة البقرة ، الآية 253 .

[7] الكشاف : الزمخشري ، ج1 ، ص226 .

[8] ديوان لزوم ما لا يلزم ، جـ1 ، ص 617 . والليس : الشجعان . ينظر لسان لعرب، جـ6 ، ص210، مادة (ليس).

الخاتمة :

تنوعُ تراكيبِ الجملة الذي وقفنا عليه من خلال هذه الدراسة يدل دلالة كبرى على على قدرة الشاعر الفائقة في توظيف مفردات اللغة للتعبير عن معانيه ؛ بفضل سعة معارفه وعمق مداركه بأسرار هذه اللغة وقدرته على التحكم في التأليف والصياغة والمهارة في التصريف في المواد اللغوية التي يستخدمها، ونستطيع أن نخلص من هذا البحث إلى **النتائج الآتية** :

ندرة ارتكاب الضرورات الشعرية التي تسمح بالتجوّز في بعض القواعد النحوية فالقارئ المتتبع لقصائده يكاد لا يظفر – إلا في مواضع قليلة جداً – بخفض مرفوع أو صرف ممنوع من الصرف أو نحوها .

أكثر الخروج عن الأصل فى ترتيب عناصر الجملة فى شعره يرد بغرض تحقيق معان إضافية، كما ظهر توظيفه لبعض المفردات توظيفاً يختلف عن ما شاع في الشعر بصورة عامة ككثرة استخدامه للضمير أنا ونحن في غير الفخر وتعظيم الذات الفردية والجماعية، فلا تجد الضمير (أنا) – مثلاً- مبتدأ به إلا ووجدت الخبر غالباً مملوءاً بالحزن وإظهار الأسى والتضجر من الناس والدنيا والزمان، وقد حاولنا إيجاد تفسير لذلك فى بعض المواضع.

تلك بعض النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال هذه الدراسة .

التوصيات :

وختاماً نوصى بالآتي :

محاولة ربط الدراسات النحوية التي تتخذ الجملة أو التركيب ميداناً لها بالدلالات المعنوية التي يقصد إليها الشاعر أو الكاتب بهذا التركيب أو ذاك، لما فيها من فوائد عديدة تمكن الباحث من كشف كثير من جماليات التعابير السليمة في إطارها الصحيح كما يسهم ذلك بقدر كبير في كسر حاجز العزلة بين كثير من الناس وبين المادة النحوية التي وُصفت بالجمود والتعقيد والصعوبة .

المصادر والمراجع :

1 . أبو العلاء المعري وعقيدته : المرحوم أحمد تيمور باشا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ، دط ، 1940م.

---

[1] البلاغة القرآنية : د. محمد أبو موسى ، ص315 .

2 . أسرار العربية : كمال الدين أبو البركات الأنباري ، تحقيق محمد بهجة البيطار ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق ، سورية 1957م.
3 . الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي، دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشرة – أيار / مايو 2002 م.
4 . الإيضاح في علوم البلاغة : جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، قدم له وبوبه وشرحه الدكتور علي بو ملحم، دار مكتبة الهلال، بيروت لبنان، ط2، 1991م.
5 . البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد ، تأليف وتأمل: عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني ، دار القلم دمشق والدار الشامية بيروت، ط1، 1426هـ-1996م.
6 . تجديد ذكرى أبي العلاء : طه حسين، مطبعة المعارف ، مصر ط3، 1937م.
7 . تعريف القدماء بأبي العلاء : طه حسين، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة 1965م.
8 . دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، حققه وقدم له الدكتور محمد رضوان الداية والدكتور فائز الداية ، مكتبة سعد الدين ، دمشق ، سوريا ، ط2 ، 1407هـ-1987م .
9 . ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له : الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 1407هـ . 1987م.
10 . ديوان سقط الزند : أبو العلاء المعري، دار صادر، بيروت، دط، دت.
11 . ديوان لزوم ما لا يلزم : أبو العلاء المعري، برواية الإمام التبريزي، ومراجعة الإمام أبي منصور بن الجواليقي، تقديم وشرح وفهرست : وحيد كبابة وحسن حمد، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، 1425هـ . 2004م.
12 . شرح المعلقات السبع: أبو عبد الله الحسين أحمد الزوزني ، مكتبة الرياض الحديثة، دط ، دت.
13 . شرح المفصل : يعيش بن علي بن يعيش ، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، دط، دت.
14 .كتاب سيبويه بتعليق وتحقيق أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبان، ط1 1420 هـ - 1999م.
15. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، تحقيق : عبد الرازق المهدي، دار إحياء التراث، بيروت، دط، دت.
16 . لسان العرب : ابن منظور الأفريقي المصري، دار صادر ، بيروت ، ط1410 هجرية ، 1990م .
17 . معجم الأدباء: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991م.

18 . مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب : جمال الدين بن هاشم الأنصاري ، حققه مازن المبارك ومحمد على حمد الله ، راجعه سعيد الأفغاني ، دار الفكر ، بيروت ، ط1 ، 1419هـ-1999م .
19 . النحو الوافي : عباس حسن ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ، دت.
20 . النقد الاجتماعي في لزوميات أبي العلاء المعري، (رسالة ماجستير) إعداد ميسون محمود فخري، إشراف أ.د. إبراهيم الخواجة جامعة النجاح الوطنية، فلسطين 1426هـ، 2005م.